اللسانيات التطبيقية وتعليمية اللغات

د. سامية جباري
جامعة الجزائر 1

إن ما يثير الانتباه حقيقة هو أنّ الوعي بأهمية البحث في منهجية تعليمية اللغات قد تطوّر بشكل كبير في السنوات الأخيرة، حيث انصرفت الأذهان لدى الدارسين على اختلاف توجهاتهم العلمية وتباين المدارس اللسانية التي ينتمون إليها إلى تكثيف الجهود من أجل تطوير النظرة البيداغوجية الساعية إلى ترقية الأداءات الإجرائية في حقل التعليمية، ممّا جعلها تكتسب الشرعية العلمية لتصبح فرعا من مباحث اللسانيات من جهة، وعلم النفس من جهة أخرى، فاحتلت مكانتها بجدارة بين العلوم الإنسانية[1].

فالحديث عن التطبيقات اللسانية في ميدان تعليمية اللغات يقتضي بالضرورة المنهجية الحديث عن مفهوم اللسانيات التطبيقية وتحديد المبادئ الأساسية لهذا العلم ثم علاقتها بتعليم اللغات.

تعريف اللسانيات التطبيقية:

من الصعوبة إعطاء تعريف دقيق وموحد للسانيات التطبيقية، وذلك يعود إلى تداخل العلوم الإنسانية من جهة، وإلى حداثة اللسانيات (العامة) من جهة أخرى. فمصطلح اللسانيات كعلم (LA LINGUISTIQUE) حديث العهد والنشأة لقد ظهر في بداية القرن الماضي على يد العالم السويسري فرديناند دي سوسير (F. DE SAUSSURE) مؤسس اللسانيات الحديثة[2]، بالرغم من أنّ الدراسات اللغوية قديمة قد تعود إلى آلاف السنين. اللسانيات هي "((الدراسة العلمية الموضوعية للسان البشري))"[3]، ويعرّفها علماء اللغة في العصر الحديث"((بأنّها العلم الذي يدرس اللغة دراسة علمية))"[4].

فاللسانيات اسم يطلق على العلم الذي يدرس اللغة الإنسانية، ظهر مصطلح اللسانيات أول مرة في ألمانيا (LINGUISTIK)، ثمّ استعمل في فرنسا ابتداء من سنة 1826، ثمّ في انجلترا ابتداء من سنة 1855[5].

أمّا اللسانيات التطبيقية فهي لا شكّ أنّها أقل حداثة من اللسانيات، فاللسانيات التطبيقية لم تتبلور معالمها بعد، ولم تتضح الوضوح المطلوب إلى غاية اليوم بالرغم من المحاولات الكثيرة في سبيل ذلك[6].

لم تظهر اللسانيات التطبيقية كعلم مستقل له قواعده ومصطلحاته ومنهجه في الدراسة إلا في حوالي 1947م وذلك في معهد اللغة الإنجليزية باعتبارها لغة أجنبية، وقد برزت أعمال هذا المعهد في مجلته المشهورة التي تسمى بمجلة علم اللغة التطبيقي.

ثم بعد ذلك أسست لهذا الغرض مدرسة عرفت بمدرسة علم اللغة التطبيقي في جامعة إدنبرة عام 1954م[7].

وبدأ هذا العلم ينتشر رويدا رويدا في كثير من الجامعات العالمية وذلك لأهميته وشدة الحاجة إليه.

إلا أن اللسانيات التطبيقية صادفت عدة صعوبات في تحديد مفهومها والفصل في معناها، تكمن إحدى الصعوبات الرئيسية في تحديد اللسانيات التطبيقية كونها "لسانيات" وتطبيقية "أي تتعامل مع اللسان من جهة، ومع تطبيقات العلوم من جهة أخرى، هذه التطبيقات كما يوضح اللسانيون لا حدود لها (فهي تعليمية تربوية، وإعلامية حاسوبية وغير حاسوبية، ونفسية علاجية وغير علاجية واجتماعية،... إلخ)[8].

وقد تتداخل عدة علوم لسانية مع بعضهاالبعض فتكون حقلا واسعا للدراسات حيث أثيرت عدة تساؤلات حول انتماء بعض الفروع المعرفية اللسانية واللغوية إلى اللسانيات النظرية أو التطبيقية. ومن هذه الفروع أو الدراسات: صناعـــة المعاجم والمصطلحية، ونظرية الترجمة، وهي من الحقول المعرفية التي تميل إلى التطبيق أكثر منه إلى النظرية. وهناك تحليل الخطاب، هل هذا الفرع يعتبر من الدراسات اللسانية النظرية أم من الدراسات اللسانية التطبيقية؟ ونفس الشيء يقال في

اللسانيات الحاسوبية، وفي دراسات الترجمة الآلية، وهما مجالان يقدمان في الجامعات الغربية تحت علوم الحاسوب وفروعه[9].

وممّا سبق يتضح أنّه ليس في الإمكان حصر جميع المجالات التي تندرج تحتها اللسانيات التطبيقية، إلاّ أنّه يمكن القول بأنّ هناك مجالا واحدا يتفق عليه جميع اللسانيين ألا وهو تعليم اللغات وتعلّمها، وهو المفهوم السائد في فرنسا وغيرها من الدول الأوروبية الأخرى.

مجالات اللسانيات التطبيقية:

سبق وأن اشرنا أنّه من الصعب حصر المجالات التي تندرج تحت اللسانيات التطبيقية إلاّ أنّه تم حديد مجالات الدراسات اللسانية التي تعد من أبرز اهتمامات اللسانيات التطبيقية والتي تدخل في مجالها[10]:

1/ تعليم اللغات وتعلّمها، ويعدّ هذا المجال من أهم مجالات اللسانيات التطبيقية.

2/ التخطيط اللغوي (مثل التعريب بمفهومه التخطيطي كتعريب الإدارة، أو تعريب التعليم، ... إلخ).

3/ المعجمية وصناعة المعاجم.

4/ المصطلحية بفرعيها النظري والتطبيقي (أي ما يعرف بنظرية أو علم المصطلح، ووسائل وضع المصطلحات وتوثيقها وترتيبها،... إلخ).

5/ نظرية الترجمة أو علم الترجمة. أمّا الترجمة الآلية فلها شأن أخر، فهي من حيث هي ترجمة قد ترتبط بشكل أو بأخر بنظرية الترجمة، غير أنّها ترتبط من زاوية أخرى بحقل لساني يدعى اللسانيات الحاسوبية، وميدان جديد أخر في مجال المعلوماتية، ألا وهو المعالجة الآلية للغات الطبيعية، والذي يرتبط بدوره بالذكاء الاصطناعي.

خصائص اللسانيات التطبيقية:

إذا كان لكل علم خصائص ومميزات يختص بها فإن اللسانيات التطبيقية تتميز بجملة من الخصائص يمكن حصرها فيما يلي:

1 ـــ البراجماتية (النفعية) وذلك ؛ لأنها أولا ترتبط بالحاجة إلى تعليم اللغات، وثانيا، لأنها لا تأخذ من الدراسات النظرية للغة إلا ماله علاقة بتدريس اللغة وتوظيفها في الحياة العملية.

2 ـــ الفعالية، وذلك لأن هذا العمل يبحث عن الوسائل الفعالة والطرق الناجعة لتعليم اللغة سواء أكانت هذه اللغة وطنية أو لغة أجنبية.

3 ـــ دراسة نقاط التشابه والاختلاف بين اللغة الأم واللغات الأجنبية من أجل الوصول إلى طريقة فعالة في التدريس.

اهتمامات اللسانيات التطبيقية:

تهتم اللسانيات التطبيقية بما يلي:

أ ـــ وضع القوانين العلمية التي أثمرتها اللسانيات العامة موضع الاختبار والتجريب.

ب ـــ استعمال تلك القوانين، والنظريات في ميادين أخرى قصد الإفادة منها.

وبناء على ذلك فإن اللسانيات التطبيقية هي استعمال فعلي للمعطيات النظرية التي جاءت بها اللسانيات العامة، واستثمار هذه المعطيات في التطبيقات الوظيفية للعملية البيداغوجية، والتعليمية من أجل تطوير طرائق تعليمها لأبنائها الناطقين بها، ولغير الناطقين بها.(11)

<u>اللسانيات التطبيقية وتعليم اللغات:</u>

اللسانيات علم نظري يسع إلى الكشف عن حقائق اللسان البشري والتعرف على أسراره، بينما علم تعلم اللغات علم تطبيقي يهدف إلى تعليم اللغات سواء كانت من منشأ الفرد أو مما يكسبه من اللغات أجنبية.

وإذا تأملنا الحقلين، تبين لنا مدى الصلة القوية القائمة بينهما،فكلاهما يحتاجان إلى بعضهما باستمرار، فاللساني يجد في حقل تعليم اللغات ميدانا عمليا لاختبار نظرياته العلمية، والمربي بالمقابل يحتاج في ميدان تعليم اللغات أن يبني طرقه وأساليبه عل معرفة القوانين العامة التي أثبتها علم اللسانيات الحديث.(12)

للتعرف أكثر على دور اللسانيات التطبيقية بتعليم اللغات يقتضي منا ذلك تحديد بعض المفاهيم حتى نتمكن من معرفة العلاقة القائمة بينهما.

الديداكتيك (التعليمية):

لهذا المفهوم عدة تعاريف، نقتصر على ذكر ثلاثة منها[13]:

ــ الديداكتيك علم مساعد للبيداغوجيا التي تعهد إليه بمهمات تربوية أكثر عمومية، وذلك لإنجاز بعض تفاصيلها، كيف نستدرج المتعلّم لاكتساب هذه الفكرة أو هذه العملية ؟ أو تقنية ما ؟ هذه هي المشكلات التي تبحث الديداكتيك على حلّها (AEBLI, HANS.).

ــ شق من البيداعوجيا موضوعه التدريس (LALLANDE).

ــ الديداكتيك بالأساس هي تفكير في المادة الدراسية بغية تدريسها (JASMIN, B.).

ــ الديداكتيك هي الدراسة العلمية لتنظيم وضعيات التعلّم التي يعيشها المتعلّم لبلوغ هدف عقلي (معرفة، علم)، أو وجداني (قيّم، مواقف)، أو حس ــ حركي (كمختلف الرياضات، الرقص،...). وتتطلب الدراسة العلمية الالتزام بالمنهج العلمي.

وتنصب الدراسات الديداكتيكية على الوضعيات التعلمية، التي يلعب فيها المتعلم الدور الأساسي. بمعنى أنّ دور الأستاذ هو تسهيل عملية تعلّم التلميذ بتصنيف المادة التعليمية تصنيفا يناسب حاجات التلميذ، وتحديد الطريقة الملائمة لتعلّمه، وتحضير الأدوات الضرورية والمساعدة على هذا التعلّم. وهذا يتطلب الاستعانة بعلم النفس لمعرفة الطفل وحاجاته، والبيداغوجيا لتحديد الطرائق المناسبة. وكلّ هذا من أجل تحقيق أهداف العملية التعليمية (LAVALLE)[14].

تعليمية اللغات:

إنّ التعليمية عامّة وتعليمية اللغات خاصة أصبحت في الفكر اللساني المعاصر، من حيث أنّها المجال المتوخى لتطبيق الحصيلة المعرفية للنظرية اللسانية، وذلك باستغلال النتائج العلمية والمعرفية المحققة في مجال البحث اللساني النظري في ترقية طرائق تعليم اللغات للناطقين بها ولغير الناطقين بها[15].

يعود ظهور مصطلح التعليمية (DIDACTIQUE) في الفكر اللساني المعاصر إلى ماكاي M.F. MAKEY الذي بعث من جديد المصطلح القديم (DIDACTIQUE) للحديث عن المنوال التعليمي، وهنا تساءل أحد

الدارسين قائلا: "((لماذا لا نتحدث نحن أيضا عن تعليمية اللغات (LADIDACTIQUE DES LANGUES) بدلا مـــن اللســـانيات التطبيقيـــة (LA LINGUISTIQUE APPLIQUEE)، فهذا العمل سيزيل الكثيـــر من الغموض واللبس ويعطي لتعليمية اللغات المكانة التي تستحقها))"[16].

وقد فتح هذا السؤال المجال واسعا لتكثيف البحوث والدراسات لأجل إعطاء هذا العلم حقه الكامل واستقلاله عن العلوم الأخرى فعرف هذا المصطلح عند نشأته اختلافات في دلالته من بلد إلى آخر لاسيما في الدول الغربية، فقد اختلفت مباحث دراسته بين فرنسا، وكندا، أما في إيطاليا وسويسرا فكان يشير إلى كل من علم النفس اللغوي وعلم النفس التربوي بينما نجده في بلجيكا يرادف (البيداغوجيا).

أما في الوقت الحالي فقد بدأت تتضح معالم هذا المصطلح حيث أصبح يدلّ على العلم الذي يهتم بتعليم اللغات، وتعملها وطرق اكتسابها، وذلك بالاستعانة بجملة من العلوم نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:[17]

1 ــ على اللسان بمختلف فروعه (اللسانيات العامة).

2 ــ علم النفس العام، وعلم النفس اللغوي.

3 ــ علم الاجتماع، وعلم الاجتماع اللغوي.

4 ــ على النفس التربوي.

كما استفاد علم تعليم اللغات استفادة كبيرة من اللسانيات البنوية والنحو التوليدي، حيث أصبح المربون المنشغلون بتعليم اللغات يتأثرون بالنظريات اللسانية ويقتنعون باهميتها القصوى في ميدان اختصاصهم وهكذا أدى التأثر المتزايد إل ظهور العديد من المناهج في تعليم اللغات وهي مناهج مبنية على نظريات لسانية.[18]

غير أن جل الدراسات اللسانية أقر أصحابها أن اللسانيات التطبيقية هي بمثابة الجسر الذي يربط جميع العلوم التي تعالج النشاط اللغوي الإنساني مثل علوم اللغة والنفس والاجتماع والتربية، ومعنى ذلك أن هذا العلم يستند في حقيقة الأمر إلى الأسس العلمية لهذه العلوم[19]

والجدير بالذكر أن تعليمية اللغات هي مجموع الخطابات التي أنتجت حول تعليم اللغات سواء أتعلق الأمر بلغات المنشأ أم اللغات الثانية. وقد نشأت في بدايتها

مرتبطة باللسانيات التطبيقية مهتمة بطرائق تدريس اللغات، ثمّ انفتحت على حقول مرجعية مختلفة طورت مجالات البحث في ديداكتيك (تعليمية اللغات)، وأصبحت تهتّم بمتغيّرات عديدة من متغيّرات العملية التربوية، ومنها[20]:

1/ المتعلّم من حيث الاستراتيجيات التي يكتسب بها اللغة، والأخطاء التي يرتكبها، وآليات استيعاب وفهم اللغة وإنتاجها.

2/ المحيط الاجتماعي وبالأخص علاقة اللغة بالجماعات وأساليب استعمالها في المجتمع، ووصفها ضمن لغات الأخرى.

3/ المادة التعليمية، وقد اتجه البحث في هذا الصدد إلى النظريات والمقاربات اللسانية، ومحاولة استثمارها في بناء وضعيات ديداكتيكية لتدريس اللغات.

4/ التدريس وما يرتبط به من تكوين المدرسين وطرائق تعليمية، واستعمال الوسائط وأساليب التقويم.

وقد تميّز خطاب ديداكتيك اللغات بتداخل الحقول المرجعية كالإعلاميات والبحث الأدبي وعلم النفس وعلم الاجتماع والإثنولوجيا ... وانطلاقا من هذه العلوم حاولت الأبحاث حول ديداكتيك اللغات الإجابة عن بعض المشكلات مثل[21]:

ـــ النحو الصريح والضمني.

ـــ اعتبار الملفوظ أساس تعلّم اللغة أو التلفظية ؟

ـــ مسألة الأخطاء اللغوية وظاهرة التداخل اللغوي.

ـــ مسألة العلاقة بين المحتوى اللغوي المدرس والنمو اللغوي للمتعلم.

ـــ استراتيجيات الفهم والإنتاج اللغوي.

ـــ المظاهر الثقافية والحضارية للجماعة اللغوية (الازدواجية، التعددية).

المبادئ الأساسية للسانيات التطبيقية في ميدان تعليم اللغات:

كما تبين سابقا وجود علاقة وطيدة بين اللسانيات التطبيقية وتعليمية اللغات وقد استندت الدراسات في هذا الحقل إلى مبادئ تؤسس للعلم الذي يمكن له أن ينعت باللسانيات التطبيقية في تعليم اللغات لذلك فإنّ هذه المبادئ التي نحن بشأن الحديث عنها يمكن تلخيصها فيما يلي[22]:

ـــ المبدأ الأول:

يتمثّل هذا المبدأ في إعطاء الأولوية للجانب المنطوق من اللغة، وذلك بالتركيز على الخطاب الشفوي، وهذا بإقرار البحث اللساني نفسه الذي يقوم في وصفه وتحليله للظاهرة اللغوية على مبدأ الفصل بين نظامين مختلفين، نظام اللغة المنطوقة ونظام اللغة المكتوبة. وهذا ما يؤكده أيضا علماء النفس في مباحثهم المتعلقة بأمراض اللغة، إذ يجمعون على أنّ نظام اللغة المنطوقة ونظام اللغة المكتوبة نظامان متباينان[23]، ومبرر ذلك هو أنّ الظاهرة اللغوية في حقيقتها أصوات منطوقة قبل أن تكون حروفا مكتوبة. فالخط تابع للّفظ وملحق به، ولهذا السبب بالذات يجب الاهتمام أولاً بالأداء المنطوق قبل اهتمامنا بالأداء المكتوب، إذ أنّ تعليمية اللغات تهدف إلى إكساب المتعلم مهارة التعبير الشفوي، لأنّه هو الطاغي على ما سواه في الممارسة الفعلية للحدث اللغوي. وما يجب ذكره هنا، هو أنّ الكفاية اللغوية تظهر في مهارتين، مهارة شفوية ترتكز أساسًا على الأداء المنطوق، ومهارة كتابية تقوم أساسا على العادات الكتابية للغة معيّنة.

ولهذا فإنّ فصل الخطاب المنطوق عن الخطاب المكتوب هو تسهيل لعملية الارتقاء لدى المتعلم، حينما نبدأ بالمنطوق يعني ذلك أنّنا التزمنا بالترتيب الطبيعي والتاريخي للغة، فاللغة عبر مسارها التحوّلي كانت منطوقة قبل أن تكون مكتوبة.

ـــ المبدأالثاني:

يتمثّل في الدور الذي تقوم به اللغة بوصفها وسيلة اتصال يستخدمها أفراد المجتمع البشري لتحقيق عملية التواصل فيما بينهم. فهي تحقق الرغبة في الاشتراك داخل الحياة الاجتماعية، ومن هنا فمتعلم اللغة يسهل عليه اكتساب المهارات اللغوية المختلفة باندماجه في الوسط اللغوي، وهذه ضرورة بيداغوجية لابدّ من توافرها لتحقيق النجاح المتوخى من تعلّم اللغة عامة واللغة الأجنبية خاصة.

ـــ المبدأ الثالث:

يتعلق هذا المبدأ بشمولية الأداء الفعلي للكلام، حيث أنّ جميع مظاهر الجسم لدى المتكلم تتدخل لتحقيق الممارسة الفعلية للحدث اللغوي، وهذا ما يؤكده جميع الدارسين اللسانيين وعلماء النفس المهتمين بالظاهرة اللغوية الذين يقرّون بأنّ

استعمال اللغة يشمل مظاهر الفرد المتكلم–المستمع، فمن الناحية الفيزيولوجية مثلا فإنّ حاستي السمع والنطق معنيتان بالدرجة الأولى، ولذلك فإنّ أغلب الطرائق التعليمية هي طرائق سمعية بصرية، وبعض الجوانب الحركية العضلية أيضا لها دخل في تحقيق التواصل اللغوي كاليد التي لها علاقة مباشرة بمهارة الكتابة وعضلات الوجه والجسم (بالإضافة إلى الإيماءات والإشارات والحركات) تتدخل أثناء الخطاب الشفوي لتعزيز الدلالة المقصودة من الأداء الفعلي للكلام. ومن ثمّة يظهر بوضوح أنّ كل جوانب شخصية الفرد لها حضور دائم وبفعّالية في دعم العملية التواصلية بين الأفراد.

ـ المبدأ الرابع:

يتمثّل هذا المبدأ في الطابع الاستقلالي لكل نظام لساني وفق اعتباطيته المتميّزة التي تجعله ينفرد بخصائص صوتية ودلالية وتركيبية تتميّز بها من سائر الأنظمة اللسانية الأخرى، ولذلك فإنّ العملية التعليمية الناجحة تقتضي إدماج المتعلم مباشرة في الوسط الاجتماعي للغة المراد تعليمها، مع الحرص الشديد على عدم اتخاذ لغة الأم وسيطا لتعلم اللغة الثانية أو الأجنبية حتى وإن كانت اللغتان متقاربتين جدا، لأن ذلك سوف يؤدي إلى الإحباط في امتلاك النظام القواعدي للغة الثانية.

كما لا يفوتنا أن نذكر أن اللسانيات العامة أثّرت على نظرية تعليم اللغات وتعلّمها في مجالات متعددة منها[24]:

1/ قاد التمييز المنهجي بين اللغة واللسان والكلام إلى منظور ديداكتيكي يرى أنّ ممارسة الكلام تعلّم للغة، يقود إلى التحكم في النسق اللغوي العام. فلا بدّ إذن من إقصاء النصوص القديمة في تقليص النشاط الكتابي بإعطاء الأولوية لاستعمال الكلام والتركيز على اللغة المستعملة في آنيتها دون الانشغال بتطورها. وتعتبر الطريقة المباشرة مثالا لطرائق تعليم اللغات التي تأثرت بهذه المفاهيم ودعت إلى تعويض النحو بالاتصال المباشر باللغة في وضعيات ملموسة، وتعويض أسلوب الترجمة بتوظيف الوسائل السمعية البصرية (GOUVIN, D. BERLITZ).

2/ الانطلاق من نظرية الدليل اللغوي، وهذا يعني إقصاء الترجمة كوسيلة لتعليم اللغة، مثل استعمال الإشارات والحركات والإماءات، والاتصال مباشرة

باللغة دون المرور بواسطة اللغة المنشأ، ولقد قاد هذا المبدأ إلى توظيف بدائل منهجية جديدة في تعليم اللغة، مثل استعمال الإشارات والحركات والإماءات (طريقة حدسية)، والصوّر والوسائل السمعية البصرية. لقد توجه الاهتمام إذن إلى عناصر غير لغوية لتعليم اللغة، لأنّ اللسانيات بدورها اهتمت في أبحاثها بالدليل اللغوي (السيميولوجيا)، وتطورت نتيجة ذلك طرائق جديدة في تعليم اللغات، من أبرزها الطريقة السمعية البصرية.

3/ توجه الاهتمام إلى الجملة كأساس لتعليم اللغة وتعلمها، فقد ظلت لسانيات الدليل والجملة مهيمنة على التفكير الديداكتيكي من خلال التركيز على بنى الجمل والتحويلات داخلها (تشومسكي نفسه لم يتجاوز هذا الإطار)، ولم يتجه هذا الاهتمام إلى سياق التواصل ووضعيته، وإلى العوامل التلفظية والتداولية والتفاعلية التي دعت إليها نظريات لسانية مثل لسانيات النص والتداولية ...

وحين نتحدث عن تعليم اللغات وتعلّمها يجب ألاّ ينصرف ذهننا إلى بساطة القضية، فهذا الميدان يشتمل على عدد كبير من التخصصات من مثل(25):

1/ تعليم اللغة والتخطيط لها.
2/ طرائق تدريس اللغة وتصميم البحوث فيها.
3/ تصميم اختبارات اللغة.
4/ إعداد مواد تعليم اللغة وتعلّمها.
5/ اكتساب اللغة وتعلّمها.
6/ الوسائل المعينة في تعليم اللغة.
7/ الثنائية اللغوية وآثارها النفسية والاجتماعية والتربوية.
8/ تحليل الأخطاء اللغوية.
9/ الدراسات التقابلية بين اللغات.
10/ محو الأميّة.

إنّ اللسانيات العامة (النظرية) ما فتئت تقدم الأدوات المعرفية لنظرية تعليم اللغات، يقول كوردر(26): «إنّ بين أيدينا زادا ضخما من المعارف المتعلقة بطبيعة الظاهرة اللغوية وبوظائفها لدى الفرد والجماعة، وبأنماط اكتساب الإنسان لها...

وعلى معلم اللغات أن يستنير بما تمدّه به اللسانيات من معارف علمية حول طبيعة الظاهرة اللغوية» . ولذلك فإنّ الاستفادة من النظرية اللسانية في مجال تعليم اللغات يؤدي إلى تقاطع منهجي بين اللسانيات العامة وعلم النفس التربوي من جهة وطرائق التعليم البيداغوجي من جهة أخرى. وفي ظل هذه التوأمة المنهجية يتحدد الإجراء التطبيقي للسانيات التطبيقية، إذ يتمحور حول مباحث تتعلق بثلاثة عناصر أولية:

ــ المتعلم ــ المعلم ــ المادة المتعلمة (وهي هنا اللغة).

ويطلق على هذه العناصر مجتمعة بغرض تنفيذ مكوّنات الفعل التربوي بكيفية تتيح للتلاميذ التعلّم على ضوء أهداف معنية بالعملية البيداغوجية.

تعليم اللغة:

إنّ التعلّم عملية ديناميكية قائمة أساسا على ما يقدم للمتعلم من معارف ومعلومات ومهارات، وعلى ما يقوم به المتعلم نفسه من أجل اكتساب هذه المعارف وتعزيزها وتحسينها باستمرار. وهناك بعض التساؤلات يجب أخذها بعين الاعتبار من أهمها[(27)]:

– كيف يمكن لنا أن نكوّن مجموعة العناصر اللسانية بشكل يناسب المعلم والمتعلم ؟

– ما هي الأساليب والطرائق البيداغوجية الناجعة ؟

– وعلى أي مرتكز لساني نعوّل في تحقيق الغاية من العملية التعليمية ؟

هذه التساؤلات لابد من أخذها بعين الاعتبار، لأنّ تعليم اللغة ليس معناه حشو ذاكرة المتعلم بقواعد وضوابط ثابتة للغة معينة، وإنّما يجب أن نجعل الطالب يشارك ويتفاعل إيجابيا مع المادة التعليمية هو الهدف، لأنّ تعليم اللغة لا يهدف إلى وضع لائحة مفتوحة من الكلمات ولكن إكسابه المهارات المناسبة ليسهم هو نفسه في ترقية العملية التعليمية وتحسينها. فالمعرفة كما يقول نورمان ماكنري: "((هي تكوين طرائق وأساليب وليست اختزان معلومات، فالمتعلم يزداد تعلّما بفن التعلّم والمعلم هو صانع تقدمه))"[(28)].

حينئذ يمكن لنا أن نقول أن اللسانيات تصبح وسيلة معرفية ومنهجية ضرورية لتحديد المجال الإجرائي للعملية التعليمية، وذلك بتوضيح الغايات

والأهداف البيداغوجية من جهة وتذليل الصعوبات والعوائق من جهة أخرى. لأنّه بدون لجوء معلم اللغة إلى النظريات اللسانية المختلفة سوف يعسر عليه إدراك العملية التلفظية للغة عند المتعلم، ويعسر عليه أيضا تحديد العناصر اللسانية التي تكوّن نظام اللغة المراد تعليمها.

للسانيات وظيفة أساسية في تحليل العملية التعليمية وترقيتها، ومن ثمة فإن معلم اللغة يصطدم منهجيا بمجموعة من التساؤلات العلمية والبيداغوجية، وبدونها سوف يتعذر عليه إدراك حقيقة ما يعلّم ؟ ومن يعلّم ؟ ومن هذه التساؤلات: ماذا نعلّم ؟ ما هي الحاجات التعلمية لدى المتعلّم ؟ أيّة نظرية لسانية نعتمدها لتحقيق الغاية البيداغوجية ؟

ولذلك فإن تطبيق النظرية اللسانية في مجال تعليم اللغة دون الاهتمام بتحديد الحاجات البيداغوجية يسيء حتما إلى عملية التعلم، ولتفادي ذلك لابد من الفصل أولا بين القواعد اللسانية العلمية والقواعد اللسانية البيداغوجية والتعليمية. وهذا يقتضي بالضرورة التمييز بين تعليم مسائل اللغة، وبين كيفية استعمال اللغة(29).

يسعى معلم اللغة حينئذ إلى جعل القواعد البيداغوجية وسيلة مساعدة في انتقاء المادة التعليمية بالاستناد إلى ما تقدمه القواعد اللسانية، ويعود نجاحه في ضبط الغايات البيداغوجية التي يسعى إلى تحقيقها أساسا إلى قدراته الذاتية التي تخوّل له الاضطلاع بمهمة تعليم لغة معينة. ولهذا لابد أن تتوافر في أستاذ اللغة ثلاثة شروط (30):

1- الكفاية اللغوية التي تسمح له باستعمال اللغة التي يراد تعليمها استعمالا صحيحا.

2- الإلمام بمجال بحثه: بحيث يكون أستاذ اللغة على دراية بالتطور الحاصل في مجال البحث اللساني.

3- مهارة تعليم اللغة: ولا يتحقق ذلك إلاّ بالاعتماد على الشرطين السابقين من جهة، وبالممارسة الفعلية للعملية التعليمية والاطّلاع على النتائج اللاحقة في مجال البحث اللساني والتربوي من جهة أخرى.

وهذه الشروط ضرورية لنجاح العملية التعليمية التي ترتكز أساسا على ثلاثـــة عناصر: المتعلم، المعلم، والطريقة التعليمية.

ـــ **المتعلم:** لا يتصور وضع نظام تعليم لغوي دون معرفة خصائص المتعلمين أنفسهم[31]

للمتعلم قدرات واهتمامات وعادات وانشغالات، فهو يهيأ سلفا للانتباه والاستيعاب، ولاكتساب المهارات والعادات اللغوية التي يسعى الأستاذ لتعليمها له ودور الأستاذ أن يحرص كل الحرص على التدعيم المستمر لاهتماماته، وتعزيزها ليتم تقدمه وارتقاؤه الطبيعي الذي يقتضيه استعداده للتعلم[32].

وعليه، فالمتعلم حتى يستفيد من تعليم الأستاذ ومن الجهد الذي يبذله في تحقيق غاية تعليمه يجب أن تتوفر شروط التعلم.

ـــ **المعلم:**

هو الركن الأساسي والمهم في عملية التعليم والتعلم، ولهذه المكانة في عملية التعليم والتعلم، وجب عليه أن يكون مهيأ للقيام بهذه المهمة الشاقة والنبيلة، حتى يكون في مستوى الأمانة الملقاة على عاتقه. فالمفروض أن يكون مهيأ علميا وبيداغوجيا، قادرا على التحكم في آلية الخطاب التعليمي، ويمتلك القدرة الذاتية في اختيار المضامين وطرائق تعليمها، كما يجب أن يحسن استغلال الوسائل التعليمية المساعدة على التبليغ الجيد والتام استغلالا جيدا.

فأستاذ اللغة مطالب بالخصوص بامتلاكه للكفاية المعرفية الصحيحة للغة التي يعلمها وهذا شرط أساسي، ومن هنا فهو ملزم بأن يتلقى تكوينا في اللسانيات حتى يكون على دراية ببعض النظريات والمفاهيم والاصطلاحات والإجراءات التطبيقية التي تساعده على فهم أسرار اللغة التي يعلمها ومعرفة آلياتها معرفة ثابتة تامّة تنير له سبيله، وتمكنه من التوفيق في تعليمه. وفي هذا الصدد يقول الأستاذ الحاج صالح: "((أن يكون معلم اللغة قد تمّ إكسابه للملكة اللغوية الأساسية التي سيكلف بإيصالها إلى تلاميذته، والمفروض أن يكون قد تمّ له ذلك قبل دخوله إلى طور التخصص[33]، وأن يكون له تصوّر سليم للغة حتى يحكم تعليمها، ولا يمكن أن يحصل له ذلك إلاّ إذا اطّلع على أهم ما أثبتته اللسانيات العامة واللسانيات العربية بالخصوص))"[34].

المادة التعليمية:

المادة التعليمية أو المادة اللغوية المستهدفة بالتعليم هي تلك المحتويات اللغوية التي تتكوّن في الغالب من المفردات اللغوية (الجانب المعجمي)، والأداءات والتمثلات الأدائية (الجانب الصوتي)، والبنى والتراكيب والصيّغ المختلفة (الجانب التركيبي)، المعارف اللغوية المختلفة التي يتعرض إليها بعض الأساتذة في تعليمهم للغة، والتي يمكن أن نسميها بالثقافة اللغوية. وهذه المحتويات محددة مسبقا في شكل برامج ومقررات موضوعة من قبل مختصين وخبراء في شؤون التعليم موزعة على كل سنة من سنوات أطوار التعليم في المدارس النظامية.

ـ الطريقة التعليمية:

أو المنهج هي مجموعة إجراءات وخطوات عملية تهدف إلى تحقيق الأهداف البيداغوجية لعملية التعلم والتعليم، وهي وسيلة تواصلية وتبليغية هامة. فاختيار الطرائق الناجحة من مهام أستاذ اللغة، فكلما اهتدى الأستاذ إلى طريقة تعليمية ناجحة كانت نتائج تعليمه جيدة إن لم نقل باهرة.

والحديث عن أهمية الطريقة التعليمية في نظرية تعليم اللغات يعدّ من أهم الموضوعات لما تجلبه الطريقة التعليمية الناجحة لعملية التعليم والتعلّم من نجاعة وفعّالية تسمحان للدرس اللغوي من تحقيق أغراضه التعليمية.

ختاما يمكن القول أن هناك تداخل كبير بين الدراسات اللسانية البحت من جهة، والدراسات النفسية والاجتماعية من جهة أخرى في تعليم اللغات. فتعليم اللغة وتعلّمها يتطلبان تفهما لنظريات نفسية وتربوية بالإضافة إلى النظريات اللسانية، كما يذكر رتشاردز وروجرز في كتابهما المشهور "مذاهب وطرائق في تعليم اللغات". وكذا الأمر مع طرائق التدريس حيث يظهر دور الدراسات التربوية بجلاء فيها.

لذلك أصبح حقل اللسانيات يشكل مصدرا مرجعيا أساسيا في البحث الديداكتيكي اللغوي، وتكمن أهمية هذا الحقل على مستويين:

ــ على مستوى تنظيري حيث أنّ اللسانيات تقدم لديداكتيك اللغات إطارا مفاهيميا لإدراك وفهم وتفسير قضايا تعليم اللغة وتعلمها.

ــ على مستوى ميتودولوجي (طرائق التعليم)، حيث أنّ مناهج اللسانيات تفيد نظرية تعليم اللغات في تصوّر وبناء وضعيات ديداكتيكية.

الهوامش

1 – أحمد حساني، "دراسات في اللسانيات التطبيقية: حقل تعليمية اللغات"، ط/1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2000، ص 130.

2– خولة طالب الإبراهيمي، "مبادئ في اللسانيات"، ط/1، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2002 ص 09.

3 – خولة طالب الإبراهيمي، المرجع السابق، ص 09 .

4 – حلمي خليل، "مقدمة لدراسة علم اللغة"، ط/1، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2002 ص 09.

5 – خولة طالب الإبراهيمي، نفس المرجع، ص 09.

6 – محمود اسماعيل صيني، "اللسانيات التطبيقية في العالم العربي"، مقال منشور في كتاب (تقدم اللسانيات في الأقطار العربية) دار الغرب الإسلامي، الرباط، 1987، ص 217 .

7 – كتاب علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية الدكتور عبدوه الراجحي 1995 دار المعرفة الاسكندرية، ص 8.

8 – شكري فيصل، "قضايا اللغة العربية"، مجلة من قضايا اللغة العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، السنة 1990، ص 184.

9 – محمود اسماعيل صيني، "اللسانيات التطبيقية في العالم العربي"، مقال منشور في كتاب (تقدم اللسانيات في الأقطار العربية) دار الغرب الإسلامي، الرباط، 1987، ص 218.

10 – المرجع نفسه، ص 185.

11 – المرجع نفسه. ص 185.

12 – لطفي بوقربة محاضرات في اللسانيات التطبيقية جامعة بشار الجزائر، ص9.

13 – عبد اللطيف الفارابي، محمد آيت يحي، عبد العزيز الغرضاف، عبد الكريم غريب، "معجم علوم التربية: مصطلحات البيداغوجيا والديداكتيك"، سلسلة علوم التربية – 9، 10، ص 256.

14 – المرجع نفسه. ص 256.

15 – أحمد حساني، "دراسات في اللسانيات التطبيقية: حقل تعليمية اللغات"، ط/1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2000، ص 130.

16- Colin, p 09 Denis Gérard. Linguistique Appliquée et Didactique des Langues. Paris, Armand.

17 – الدكتور عبدوه الراجحي، المرجع السابق، ص17 .

18 – لطفي بوقربة محاضرات في اللسانيات التطبيقية، ص 7.

19 – عبد الراجحي، المرجع السابق، ص ص: 11 ــ 12 .

20 – اللطيف الفارابي وآخرون، المرجع السابق، ص69.

21 – المرجع نفسه، ص 70.

22 – أحمد حساني، المرجع السابق، ص 131 .

23 – دونيس جيرار، المرجع السابق، ص 17.

24 – محمد محمد يونس، "مدخل إلى اللسانيات"، ط/11، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ليبيا 2004، ص 15.

25 – محمود إسماعيل صيني، المرجع السابق، ص 220.

26 – كلودير، مدخل إلى اللغويات التطبيقية، ترجمة جمال صبري، مجلة اللسان العربي، م 14 ج1، المغرب، ص: 64 .

27 – أحمد حساني، المرجع السابق، ص 139.

28 نورمان ماكنري، "فن التعليم وفن التعلم"، ترجمة أحمد القادري، مطبعة جامعة دمشق، 1973 .

29 – أحمد حساني، المرجع السابق، ص 141.

30 – أحمد حساني، المرجع السابق، ص 141.

31 – عبد الراجحي، علم اللغة التطبيقي وتعليم اللغة العربية، ص 28.

32 – أحمد حساني، المرجع نفسه، ص 142 .

33 – عبد الرحمن الحاج صالح، "أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية" مجلة اللسانيات، العدد الرابع، جامعة الجزائر، 1973، ص 41 .

34 – عبد الرحمن الحاج صالح، المرجع نفسه، ص 41.